اعترافات المهرب

لأني امتلكت خديجة
توقف طابور عسكر
وراحوا ينزون من ثقب بابي
لقتل خديجة
ونهب حلي القتيلة
ولكنهم تركوا لي كتابي
ومحبرتي ورماد الجديلة
وشمس عذابي
غداً يعرفون القتيلا
... فشكراً ، وشكراً جزيلا ..

إذن لستُ ميتاً
ولست إذن سائحاً أو مهاجر
ولست شقياً مغامر
أموت كثيراً
واحيا كثيراً
ولكن أظل اسافر
لأن جميع المحطات ترفض ترفض ترفض
هذي التذاكر ..
ولست إذن ،
ملكتني البحار زماناً
وبعد ،
ملكت المقابر
تنحنح شيخ ضئيل ليسأل عن مهنتي
قلت : عفواً ،
بعيد .. وحاضر ..
ونامت على كتفيَّ صبايا عذارى
ونامت عواهر

وعاديت سائق تكسي لأن ..
وصادقت وغداً مقامر
لأن ..

عدوني إذن وانكثوا
صار صوتي دخاناً
ولحمي رماداً
وظلي محابر
.... (رماداً)

وجمجمتي وضلوعي
... (رماداً)
وسلسلة الظهر صارت رماداً
فلن تصنعوا من عظام الفتى مسبحة
... (رماداً)

نثرت رمادي على الاضرحة

وعدت أسافر عدت أسافر
أسافر
اسا ...

على قمم الموت
حياً وميتاً
وقفت
انتحيت بأمي ركنا قصيا
كتمت كثيراً
وبحت قليلا وقلت لأمي :
على لحمك النيء عاش الجراد
واصبحت صابونة ، كالبلاد
تطير الفقاقيع حولك منك
وتسقط عنك
ويبقى المزاد
وتبقى الاذاعة
وتبقى الاكف النقية
ويبقى الجراد ...
ولم تبك ،
قالت بكل حنان الامومة « يا ابني » !
انتبهت الى شرطة الله والدول الباهظة

همست : أراك غداً

وافترقنا

غداً .. واحترقنا

غداً .. ثم هاج الرماد وماج الرماد

وصار غمامة صيف

تقشعت

افتتح الجلسة الطارئة

غدو قديم

واجمعت الصحف العالمية

على انها جلسة هادئة

وكل الوفود اشارت الى أن ..

ـ ماذا ؟

ـ نسيت ، لأني شربت كثيراً ،

لان ، اعذروني إذن ،

نلتقي ذات يوم هناك

وراء الوفود التي صرحت ووراء الجريدة !

مباركة هذه الصاعقة
مباركة هذه الاغنية
لأن المغنين لم يتقنوها كما ينبغي
وظلت مزلزلة حارقة
وجمهورها غط في النوم دهراً
أفاق ليشرب قهوته .. ثم نام
وظلت مزلزلة حارقة
لماذا إذن كل هذا الصراخ ؟

على اي بعد من النار كنا ، على اي بعد ؟
لتعبر هذي الرياح وهذي الصخور وهذا الذباب
الى كل باب ، ومن كل باب ؟
نهار الكلام نهضنا جبالا
وبعد الكلام سقطنا ظلالا
علي اي بعد من النار والنور كنا ،
ويا وطني الجلجلة
ينوك الصغار الصغار

يخونون آباءهم مرتين

ففي زهرة مهملة

وفي دمعة تدعي ملحها الف عين وعين

على اي بعد تقيمون ؟

نادى المنادي

وماذا تريدون .. ماذا ؟

خذوه !

فلم يبق لي غير هذا !

تبادر للذهن اكثر من مرة

ان هذي البلاد

تصير جراده

وان الجراده

تصير شعوب جراد ،

تبادر للذهن ،

والذكريات المعاده

حياة معاده

وموت معاد ..

إذا أنصف البحر القاك يوماً
على قشة او رصيف
وإن أنصف البر يسمعني اخوتي الضائعون :
فلسطين حانوت والدنا
ايها الاخوة الطيبون
ووالدنا شاب شعره
وشابت عيونه
ووالدنا ايها الاخوة الطيبون
يجن جنونه
لأنكمو تسرقون

على قدر هذا الفراش امدد رجليَّ

Third class?

O.K Sir!

تفح السفينة تنسل افعى البحار الكبيرة
يصغر جسم الموانيء
بنيان *U.N* كعلبة كبريت

تكبر عينا حبيبي
وامي معي دائماً ،
إن امي خلاياي . لا تنظروا في جواز السفر
ومن كان يعلم .. يعلم
ومن ليس يعلم سوف يخمن (كف عدس) !
« مدينة رودس محطتنا القادمه »
سمعنا وشكراً ،
اضاجع سائحة ما على زورق للنجاة
تدخن آخر ما عندنا من سجائر
واقذف للبحر مطاطتي الواقيه
مع اسم التي ضاجعتني لأني الجسد
« همومك يا سيدي لا احد
وهمي . لحمي ولحمك »

وتزحف افعى البحار كحبلى
وتكبر في الشط بعض المنائر ..
اها .. اذكر الاسم « رودس »

اها

ورأيت الطحالب تغمر جسمي المريض

رأيت هنا الاخطبوط بأذرعة سرها مضمر فوق ما اعلنت

ولما رأيت فزعت

ولما فزعت صرخت

ولم يسمعوا (لا يجوز النقاش على الصفقة الواعدة)

اها اذكر .. الامم الراقده

واذكر رودس (لكن رودس ليست جزيره !)

يسجلني رجل الجمرك الشاحب المز

والمخبرون ،

يخافون ان اختفي فجأة (لا تخافوا !

دمي مخبر مثلكم يقتفي اثري

في رؤوس الجبال وفي ردهات السجون)

اراود بعض المدائن عن نفسها

فتقهقه : اين مدينتك ؟

ـ احترقت

ـ كيف ؟

ـ نمتُ .

وتسخر مني المدائن لكنها تتعرى
وتجذب كفي ، فأحجم ..

عيناك يافا على كل بيت
وعيناك يافا على كل غاب
وعيناك يافا على كل سفح ونهر ووجه
وعيناك يافا جحيمي
وعيناك يافا نعيمي
وعيناك قفل على كل باب
اراود كل المدائن ـ لكن يافا ـ وبعد ،
يصادف هذا المساء انتقال الفقيد
إلى رحمة الله .. هذا المساء
تجمَّع من حوله الاقرباء
وراحت تنوح على قدميه امرأة

وكركر بالضحك طفل
يرى كيف تأكل اسنان جدته المدفأه
وحدق اهل الفقيد على كل قفل
لعل الخزانة (ماءت على الرف قطة)
لعل الوصية . أين الوصية . اين وصية قيصر
ومن سينال كثيراً
ومن سوف يحظى بأكثر ؟

واغمض شيخ كفيف جفون الفقيد
(لك العمر من بعده . هذه هي حال الحياه
لك العمر ، لا حول الا ،
نفض الوصية)
قضوا الوصية
وكانت وصيته كلمات قليله :
(تسدد كل ديوني الى الله والناس
هذي القبيلة ...)
يصادف هذا المساء انتقال الفقيد

الى رحمة الله ، هذا المساء ،
تدحرج عيسى إلى الجلجلة
يصادف هذا المساء مساء جديداً
على النكبة المهزلة

وكم موجة في المحيطات كم موجة في البحار البحيرات كم
موجة في الصحاري القلوب وكم موجة في الاذاعات . يا
حادي العيس لي موجة في البحار
ولي موجة ١٠٠٠ كيلو ـ واط
فأين السفينة ؟ تذكرتي في يدي ،
والحقيبة نبَّشها الضابط الجهم (إسمي من اللغة الرافضة)

ويا سيدي اليوم مهلا فما انا جيمس بوند
ولم اتعاط المخدر إلا قليلا
لأن الحياة كما تشتهيها قليلا
ولست مهرب نقد ،
ولكنني اعترف !

اجل . أعـ.. ـتـ .. ر..ف ف ! !
بأني مهرب ماوية وانتظار
حملت معي جبلي وكرومي ومنزل أهلي
وبيارة صودرت من زمان
ويا سيدي أعترف
بأني احب النساء ، اذن تفهمون
لماذا حملتُ نسائي معي
وبين نسائي ، جندية هددوها كثيراً
بحبسي وضربي إذا هي لم تقتل الحب في مهده ،
وهي لم ...
وبي أنا حول وبي أنا قوة
وها أنذا أعترف
بأني أهرب شيئاً يسمى الوطن
وشيئاً يسمى العذاب
وشيئاً يسمى الزمن !!

(اسطنبول ـ رودس ـ حيفا
نيسان ١٩٧٢)